

أخذت فكرة الدولة العالمية وفكرة الدولة القومية مكاناً بارزاً في فلسفة السياسة، لما كلمنهما من قدرة على حل كثير من المعضلات التي تعجز عن حلها فكرة «دولة المدينة» أو فكرة «الدولة الوطنية» تارة، ولما لهما من قدرة على تحقيق حلم الوحدة الشاملة للإنسانية أو للأمة في مواجهة التجزئة والتفتت والسرعة تارة أخرى. فإذا كانت الدولة القومية تبدو كسرورة تاريخية لتأكيد السيادة والإرادة العامة للأمة في مواجهة الاستعمار والهيمنة، فإن الدولة العالمية، تبدو كأمل للإنسانين وأدكثيراً من الفلاسفة، تأسي ساطة لى وحدة الجن سالب سري، ورغبة في إقامة حكومة عادلة للإنسان سانية. وتماحياناً الانحراف بفكرة الدولة العالمية سالح سيادة قومية وابتلاعها ل سائر القوميات، كما تما انحرافاً أحياناً بفكرة الدولة القومية القائمة على السيادة وحقوق تقرير المصير ل سالح تأكيد الدولة القومية تأكيّاً سوفينياً. دراسات 54 في هذا السياق المطروح في نطاق هذا البحث، لا سيما أن ه ذا ال ب ح ث لا ي دور في فلك التأثير والتأثر، وهو غير معنيّ بهذا ل سية على الإطلاق، وإنم ا هو معني ببيان جذور الاستبداد التي ت سطر بع ش الفلاسفة إلى الوقوع في مفارقات وأحياناً تناقضات، كانوا في غنى عنها لو ساروا مع عقلانيتهم المنطقية إلى النهاية، وتحرروا من سطوة القيم والنظم السياسية الحاكمة المعاصرة لهم. إن النزعة العالمية كدعوة للمساواة ووحدة الإنسان سانية في القيمة، هي مبدأ عقلاني م شروع وي شوع نف شه بنف شه العالمية. القومية. في تاريخ الأفكار: إن ال ن زع العالمية ك دعوة للمساواة ووحدة الإنسان سانية في القيمة، هي مبدأ عقلاني م شروع وي شوع نف شه بنف شه. وإلى هذه النزعة دعت أدري ان وفلسفات متعددة على الأقل على الم مستوى النظري. ولم تظهر الدعوة إلى العالمية فيع سرالفل سفة يونانية حتتأر سطو، لأنها لا تزال ت سير في فلك النزعة العرقية المتعسبة، لكن في الع سرال هيلين ستي (من سنة 323 ق. م حتى سقوط الإ سكندرية على أيدي الرومان في 30 ق. م) دع ت الرواقيون إلى المواطنة العالمية، ونظروا إلى «الكون كله على أنه وحدة واحدة ي سودها العقل، وما الاعتقاد الرواقي في «ال ع الم- ال دولة» أو «ال دولة- العالم» إلا المظهر ال سياسي لهذه النظرة الفل سفية في الكون». وعند الرواقية «أن الكون بأ سره جوهر واحد، طبيعة واحدة». والكون كله مجتمع كوني واحد، ودولة واحدة». فيرزينون «أنالب سر لا يجوز لهما أن يفرقا إلى الم سوب، لكل منها قوانينها الخاصة. فالب سرجمياً أبناء وطن واح د، إذ حياتهم واح دة والكون الذي يحبون فيه واح د، مثلهم مثل قطيع الأغنام ال ذي يوحد انقياده لقانون واح د». وتوازي الرؤية ال سياسية التي عمل الإ سكندر المقدوني على تطبيقها فعلياً فيا ل عالم الرؤية الفل سفية للرواقية. وفي الفل سفة الإ سلامية، ظهرت فكرة العالمية عند الإ ح وان ال سفا، ولكن في سكل ثقافي ديني، فهم يتحدثون عن وحدة الأديان والفل سفات والثقافات، غير أنهم على الم مستوى ال سياسي لا يزالون أ سرى لمفهوم الأمة بزعامة بينهما، ولا تنكر أن تلك الفروق لا تنبع فقط من قدر التعارض بين فيل سوف يقول بالدولة العالمية وفيل سوف يقول بالدولة القومية، وإنما تنبع، أي ساء، من اختلاف الظرف الح ساري والتاريخي ال ذي عا ش فيه كل منهما. لكن ثمة مفارقة حقيقية تتمثل في أنه رغم هذا التعارض بين الطرفين، وبين الدولة القومية والدولة العالمية، ف إن بع ش المقاربات تفر ش نف سها، لكنها لي ست مقاربات حرفية متطابقة كل التطابق، وإنما ن سببية، حيث تتقاطع الفكرة عند أحدهما مع الفكرة عند الآخر في جانب، ثم ربما تخالفها في جانب آخر، أو ت سير أبعد منها، ربما ب سبب اختلاف المنهج، وربما ب سبب المق سداي ول و ج ي، وربما ب سبب تفاوت الظرف التاريخي والثقافي. وتكمن المقاربة الأ ساسية، وهياي ساء المقارنة الأساسية، رغم كل الفروق بين الفارابي وهيجل، في أن التأسي ش الميتافيزيقي لفكرة الدولة العالمية يكاد يكون هو نف سه التأسي ش الميتافيزيقي لفكرة الدولة القومية! فكيف تكون فكرتان سياسيتان مختلفتين: الدولة العالمية والدولة القومية،